من أسرار الترتيب بين سور القرآن الكريم (نماذج مختارة).

Secrets of Ranking Between Chapters of the Holly Quran (Selected Models).

د. خزامى محمد سلامه العيسى [1]

(1) أستاذة التفسير وعلوم القرآن المشارك،
قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب،
جامعة الملك فيصل، الأحساء، المملكة العربية السعودية.

ملخص البحث:

تكشف هذه الدراسة عن بعض أسرار الترتيب والتناسب والتناسق في أربعة نماذج من سور جزء عم، وهي: (العلق والقدر، والفيل وقريش، والنصر والمسد، والمعوذتان الفلق والناس)، هذا على الرغم من نزول القرآن الكريم مفرقاً، في مدة زمنية طويلة امتدت إلى نحو من ثلاثة وعشرين عاماً، وهي أسباب موجبة في حكم العادة إلى التشتت، فجاءت الدراسة لِتبرهن على أن ترتيب سور القرآن الكريم بتوقيف من الله تعالى، وأنه سالم من التفاوت والتشويش، فتناولت الدراسة تعريف علم المناسبات، ومكانته في علوم القرآن الكريم، وأثر علم المناسبة في التفسير، ثم بيَّنت وجوه الترابط والتناسب في النماذج الأربعة.

ومن النتائج التي أسفرت عنها الدراسة: أن ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره توقيفي، وأن هذا الترتيب التوقيفي هو مستودع أسرار ترابط السور فيه، وهو من أجلى مظاهر إحكام القرآن الكريم. وأكد البحث أن علم المناسبة مستمد من الوجوه العقلية، وأن له الأثر الجلي في علم التفسير. وأظهر البحث أصالة علم المناسبة، وأنه من صميم علوم القرآن الكريم، وليس من مِلَح العلم كما قيل. وأبرز البحث العديد من أسرار الترتيب والتناسب في النماذج الأربعة للسور، وأن التناسب بين مطلع السورة وختامها في منتهى الوثاقة.

Abstract:

This study reveals some of the secrets of arrangement, proportionality and harmony in four models of the surah of Juz Amma, which are: (Al-Alaq and Al-Qadr, the elephant and the Quraysh, the victory and the Masad, and the two sins of divorce and people). To about twenty-three years, which are positive reasons for the rule of habit to dispersion, so the study came to demonstrate that the arrangement of the Holy Qur'an with the arrest of God Almighty, and that it is safe from disparity and confusion, so the study dealt with the definition of occasion science, its position in the science of the Holy Quran, and the impact of science The occasion in the interpretation, then showed the interdependencies and proportionality in the four models.

Among the results of the study: that the arrangement of verses of the Holy Qur'an and its surah is arresting, and that this arrangement of arrest is the repository of secrets related to the fence, and it is one of the most visible manifestations of the provisions of the Noble Qur'an. The research confirmed that the science of the occasion is derived from mental facets, and that it has a clear effect on the science of interpretation. The research showed the originality of the science of the occasion, and that it is at the heart of the science of the Noble Qur'an, and not from the salt of science as it was said. The research highlighted many of the secrets of arrangement and proportionality in the four models of the wall, and that the proportion between the beginning and end of the surah is in the utmost confidence made.

ISSN : 2410-1818

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل القرآن الكريم تبيانا لكل شيء، سالماً من العوج والريب، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله سيدنا محمد الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وأيَّده بالقرآن الكريم الذي وصفه منزله سبحانه وتعالى بأنه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، أما بعد:

إن من أهمية دراسة تناسب سور القرآن، تمكين النفس من التدبر وحسن فهم القرآن الكريم لمن يتعامل مع النظم الجليل، فتقديم المناسبة في درس التفسير من باب تقديم المقاصد، إذ المناسبة هي المصححة للنظم كما جزم به الإمام الزركشي (ت: 794هـ): قال رحمه الله تعالى: "واعلم أنه جرت عادة المفسرين أن يبدأوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث أيما أولى البداءة به بتقدم السبب على المسبب، أو بالمناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول؟ والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب النزول كالآية السابقة في: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ لسورة النساء: 58]. فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد، وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة"[1]، كما أن مراعاة حسن الترتيب في النظم الرائق يقوي ملكة الاستحضار والربط والترجيح لدى المعتنيين بعلم التفسير.

قال الإمام الرازي (ت: 606هـ): "وهذه دقائق من أسرار العلوم الإلهية مودعة في هذه الألفاظ الفائضة من عالم الوحي والنبوة"[2].

كما أن القرآن الكريم بلغ من فصاحة كلماته، وتماسك جمله وآياته، وتعانق سوره؛ مبلغاً لا يدانيه كلام، الأمر الذي دفع فحول العرب إلى الاستماع له والتدبر لما فيه، فلم يجدوا فيه مغمزاً، بل وجدوا فيه انتظاماً والتئاماً واتساقاً، حتى قال قائلهم - وهو الوليد يخاطب أبا جهل في شهادته المدوية - : "والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته"[3].

فقد أجمع المسلمون على حقيقة ثابتة وهي إعجاز القرآن الكريم، فأقبلوا على كتاب الله تعالى تأملاً وتدبراً في آياته وسوره، فكان النظر في وجوه ترابط السور في القرآن الكريم سبيلاً ومسلكاً

1. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج: 1 ص 34.
2. مفاتيح الغيب، ج: 20 ص 221.
3. أسرار ترتيب القرآن، السيوطي (ت: 911هـ) ج: 1 ص 21.

ISSN : 2410-1818

ومِفتاحاً لِبيان ما أودع في هذا الكتاب الكريم من أسرار سرية، وحكم أبية تصدى لتجليتها أعلام المفسرين وحذاقهم.

ومن مباحث علم التفسير ما يعرف بعلم المناسبة، الذي يعد العلم به من أهم أركان المفسر، فإذا قرأ الناظر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [سورة النساء: 58]. يرى بعد التأمل أنه توجد لفته من التناسب ولطيفة في حُسن الترتيب، بيّنها أئمة التفسير، فقد ذُكِر الأمر بالأمانة أولاً، ثم ذُكِر الأمر بالحكم بالحق، فعلى المرء أن يبرء ذمة نفسه ثم يعدل بين الآخرين، ومن هنا نلتمس أن هناك معاني مودعة في روابط ترتيب ألفاظ الآيات[4].

وحينما ننظر إلى تناسب سؤالات الصحابة رضي الله عنهم التي سجلها القرآن الكريم من السؤال عن أجابة الدعوة، والأهلة، وتحليل الأطعمة، والأنفال، والروح، وذي القرنين، والجبال، والساعة، من السؤال عن أجابة الدعوة، والأهلة، وتحليل الأطعمة، والأنفال، والروح، وذي القرنين، والجبال، والساعة، فهنا ترتيب عجيب حيث بدأ بشرح بدء الخليقة: بذات الله، وصفة خلقه، ثم جاء بشرح المعاد: بنسف الجبال وعلم الساعة، والملاحظ أن السور التي في النصف الأول من القرآن تشتمل على شرح المبدأ فتتكرر آيات خطاب الله للناس بالتقوى وتذكيره لهم بخلقه إياهم وأن السور التي في النصف الثاني من القرآن تشتمل على شرح المعاد فتتكرر آيات خطاب الله للناس بالتقوى وتذكيره لهم بيوم القيامة."[5].

وإن من دواعي بحثي في مناسبة ترابط السور: أن أُسهم في الكشف عن جانب من جوانب ثراء وعظمة هذا السبك المحكم والنسق البديع في دراسة أربعة نماذج من جزء عم، فإن ترتيب سور القرآن الكريم يثير في النفس التوق لتلمس أسرار التناسب في النظم القرآني الرائق، أملًا في التوصل إلى المزيد من أسرار هذا الكتاب الخالد، ولأبين القيمة العلمية لمعرفة وجوه الترابط بين سور القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع في الأمور الآتية:

1- التعرف على أولوية علم المناسبة لدى المفسر، كما احتفت بها عبارات الأئمة.
2- الإلمام بدور العلوم العقلية في استمداد علم المناسبات.

4. انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج: 10 ص 610.
5. مفاتيح الغيب، ج: 5 ص 281.

ISSN : 2410-1818

3- معرفة وجوه الترابط بين آيات القرآن الكريم وسوره، والحكم على ترتيبها بأنها توقيفية.

4- الاطلاع على بعض أسرار الترتيب والتناسب بين سور القرآن الكريم، واستلهام هداياتها وتدبرها.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعت لدراسة هذا الموضوع ما يأتي:

1- اطلاعي على تمجيد أئمة التفسير وعلوم القرآن الكريم لعلم المناسبة دفعني للوقوف على أسرار الترتيب بين الأربعة نماذج من السور، وتحديد أي أقوال أهل التفسير أكثر ملائمة للنظم الرائق.

2- محاولة الإضافة في مجال الدراسة القرآنية، حيث إني لم أقف على دراسة علمية مستقلة تناولت بيان أسرار الترتيب بين السور المذكورة، وذلك بحسب بحثي واطلاعي.

أهداف البحث:

يهدف البحث للتوصل إلى الأمور الآتية:

1- بيان معنى علم المناسبة، والعلوم التي يستمد منها، وآراء المفسرين وعلماء علوم القرآن الكريم في صحة علم المناسبة، ومكانته بين علوم القرآن العديدة.

2- كشف أسرار الترتيب بين السور المذكورة، وبيان مصدر هذا الترتيب الفائق.

3- الوقوف على أقوال المفسرين وعلماء علوم القرآن في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ومصدر هذا الترتيب.

4- إبراز أثر معرفة علوم القرآن الكريم على وجه العموم، وعلم المناسبة على وجه الخصوص في فهم معاني القرآن الكريم، والترجيح بين أقوال المفسرين.

منهج البحث:

بنيت البحث على المنهج الوصفي، وذلك بتتبع وجوه الترابط والتآخي والتعانق بين السور التي هي محل الدراسة، ودراسة هذه الوجوه التي ذكرها أهل هذا الشأن.

مشكلة الدراسة:

- ما هي وجوه الترابط وأسرار التناسب بين السور التي هي محل الدراسة؟
- هل تكلم المفسرون وعلماء علوم لقرآن في أسرار الترتيب والترابط بين تلك النماذج المختارة من السور القرآنية الكريمة؟
- ما هو أثر علم المناسبات على تفسير تلك السور القرآنية الكريمة.

ISSN : 2410-1818

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على تناول وجوه الترابط والتآخي والتعانق بين سور العلق والقدر، والفيل وقريش، والنصر والمسد، والمعوذتين الفلق والناس، وبيان أثرها في تفسير تلك السور القرآنية الكريمة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتتبع لم أجد - في حدود بحثي- دراسة علمية استقلت ببيان وجوه الترابط والتناسب بين: (سور العلق والقدر، والفيل وقريش، والنصر والمسد، والمعوذتين: الفلق والناس)، وبيان أثرها في تفسير تلك السور القرآنية الكريمة، ولذلك رأيت أن يكون عنوان البحث هو: "الترتيب بين سور القرآن الكريم (نماذج مختارة)".

وفيما يأتي قائمة بأسماء الدراسات العلمية المتعلقة بعلم المناسبات مرتبة حسب القالب النظري منها ثم التطبيقي:

1- الترتيب التاريخي والموضوعي لآيات القرآن الكريم، عادل كمال حاج الخضر عثمان، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، 1434هـ، 2012م.

2- القرآن الكريم بين ترتيب النزول وترتيب التلاوة، صلاح روّاي، مجلة دراسات عربية وإسلامية، جامعة القاهرة، مركز اللغات الأجنبية والترجمة التخصصية، المجلد21، 1999م.

3- تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول (منبعه وفوائده)، محمد مجلي أحمد ربابعة، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 37، العدد 1، 2010م.

4- بديع الترتيب في القرآن الكريم (دراسة دلالية جمالية)، خالد كاظم حميدي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 18، 2013م.

5- ترتيب القرآن الكريم (حقيقته ودحض افتراءات المستشرقين حوله)، فاطمة محمد علي آل مرعي، مجلة القراءة والمعرفة، جامعة عين شمس، كلية التربية، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، العدد 173، 2016م.

6- أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، رسالة ماجستير، مقبولة علي مسلم الحصيني، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحافظ بن إبراهيم البقري، جامعة أم القرى، السعودية، 1428هـ ، 2007م.

7- التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير، الباحث طارق مصطفى محمد حميدة، إشراف الأستاذ الدكتور حاتم جلال التميمي، جامعة القدس فلسطين، 1428هـ ، 2007م.

ISSN : 2410-1818

8- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير، أحمد محمد عطية المنيراوي، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين 1431هـ ،2010م.

9- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورة الأعراف، رسالة ماجستير، إيمان عيد علي درويش، إشراف الدكتور وليد محمد حسن العمودي، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1431هـ،2010م.

10- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية على سورة الحجر والنحل والإسراء، رسالة ماجستير، عبد الله سالم سلامة، إشراف الأستاذ الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1431هـ ، 2010 م.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، وهي كما يأتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، وحدوده، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: تعريف علم المناسبة ومكانتها وأنواعها في القرآن الكريم.

وفيه اربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مكانة علم المناسبة عند المفسرين.

المطلب الثالث: أشهر المصنفات في ترتيب القرآن الكريم:

المطلب الرابع: أنواع علم المناسبة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لبيان أسرار الترتيب بين سور العلق والقدر، والفيل وقريش، والنصر والمسد، والمعوذتين الفلق والناس،

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دراسة لبيان أسرار الترتيب بين سورتي العلق والقدر،

المطلب الثاني: دراسة لبيان أسرار الترتيب بين سورتي الفيل وقريش،

المطلب الثالث: دراسة لبيان أسرار الترتيب بين سورتي النصر والمسد،

المطلب الرابع: دراسة لبيان أسرار الترتيب بين المعوذتين الفلق والناس،

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات ثم أتبعتها بقائمة المصادر والمراجع.

والله أسأل الإخلاص والقبول إن ربي رحمن رحيم.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: تعريف علم المناسبة ومكانتها وأنواعها في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحا.

أصل البحث في موضوع علم المناسبة في القرآن الكريم من العلوم العقلية، ضرورة أن القرآن الكريم محمول على الاتصال من أوله إلى آخره، فهو بمنزلة السورة الواحدة، بل هو بمنزلة الجملة الواحدة، على هذه الوثاقة يحمل كلام اللطيف الخبير، قال الزركشي (ت: 794هـ): "واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة المقاربة، وفلان يناسب فلانا أي: يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين، وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس الوصف المقارب للحكم، لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[(6)]

أولا: تعريف علم المناسبة لغة.

المعنى الذي تدور عليه مادة (ن س ب) هو القرب والاتصال، وقد أورد أصحاب المعاجم عددًا من مشتقات هذه المادة التي تدور حول هذا المعنى النسب والنسبة، قال ابن فارس (ت: 395هـ): "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيء، ومنه النَّسب سُمِّي لاتصاله وللاتصال به، تقول: نسبت أنسب. وهو نسيب فلان. ومنه: النسيب في الشعر إلى المرأة، كأنه ذكر يتصل بها؛ ولا يكون إلا في النساء. تقول منه: نسبت أنسب. والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض"[(7)].

وقال الراغب الأصفهاني (ت: 502 هـ): "النسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول، كالاشتراك من الآباء والأبناء. ونسب بالعرض، كالنسبة بين بني الإخوة، وبني الأعمام. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة الفرقان: 54]، وقيل: فلان نسيب فلان. أي: قريبه، وتستعمل النسبة في مقدارين متجانسين

6. البرهان في علوم القرآن، ج: 1 ص: 36.
7. مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (نسب)، ج: 5 ص: 423 . 424.

ISSN : 2410-1818

بعض التجانس، يختص كل واحد منهما بالآخر، ومنه: النسيب، وهو الانتساب في الشعر إلى المرأة بذكر العشق، يقال: نسب الشاعر بالمرأة نسبا ونسيبا" [8].

ومن المعاني المجازية لمادة (ن س ب) معنى المشاكلة قال الزبيدي (ت: 1205هـ): "ومن المجاز: المناسبة: المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسُب؛ أي: مشاكلة وتشاكُل، وكذا قولهم: لا نسبةَ بينهما، وبينهما نِسبة قريبة"[9].

ثانيا: تعريف علم المناسبة اصطلاحا.

يظهر من نقول العلماء أن علم المناسبات هو التأمل في ترابط معاني القرآن وأسبابها من خلال أجزاءه وآياته، فقد نقل الزركشي عن القاضي أبي بكر بن العربي (ت: 543هـ) في سراج المريدين قوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[10].

وعرفه البقاعي (ت: 885هـ) بأنه معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض. قائلاً: "وعلم المناسبات - الأهم من مناسبات القرآن وغيره - علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"[11].

وأطلق عبد الحميد الفراهي (ت: 1349هـ) على التناسب اسم النظام: "ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وَحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة... وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلامًا واحدًا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخِر"[12].

8. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (نسب)، ص: 801.
9. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مادة (نسب)، ج: 4 ص: 265.
10. البرهان في علوم القرآن، ج: 1 ص: 36.
11. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج: 1 ص: 5.
12. دلائل النظام، الفراهي، ص: 1 . 2.

ISSN : 2410-1818

ثالثاً: العلاقة بين علم المناسبات وعلم البلاغة:

يتَّضح مما تقدم من تعريف مصطلح المناسبة أو التناسب، أن هناك تقاربًا شديدًا بين علم البلاغة وعلم المناسبة حيث جعله البقاعي سرَّ البلاغة إذ أن موضوع علم البلاغة هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهذه المطابقة تقتضي ترتيب المعاني المتشابهة والمتآخية والمتسقة في النفس على وفق الواقع، وعلم المناسبة هو معرفة علل ترتيب أجزاء الكلام، قال الجرجاني (ت: 407هـ): "وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[13].

وقد كان الجاحظ (ت: 255هـ) من أوائل من نبه على مناسبة الألفاظ اللغوية مع الأغراض البلاغية، وبها تتطابق المناسبة مع القاعدة البلاغية التي تقتضي أن لكل مقام مقالاً - مطابقةِ الكلام لمقتضى الحال - وهذا جزء من المناسبة، وهو مناسبة الكلام للواقع الذي يُلقى فيه، قال الجاحظ في باب تناسب الألفاظ مع الأغراض: "لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال، وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك وله، وداخل في باب المزاح والطيب، فاستعملت فيه الإعراب، انقلب عن جهته. وإن كان في لفظه سخف، وأبدلت السخافة بالجزالة، صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكر بها، ويأخذ بأكظامها"[14].

ومن هنا فإن نسبة علم المناسبة بالنسبة لعلم البلاغة، كنسبة أصول الفقه إلى الفقه، فهو حاضنُها، ومُعلل ترتيبها، ومُقنِّن لها، فالمناسبة البلاغية الترتيب والاتساق والتآخي، وعلم المناسبة هو معرفة علل وأسباب هذا الترتيب والتآخي.

13. دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: 54.

14. الحيوان، الجاحظ، ج: 3 ص: 18.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: مكانة علم المناسبة عند المفسرين.

أولاً: تعريف ترتيب القرآن الكريم:

الترتيب مصدر مشتق من رتّب الشيء يرتّب رتوبًا، وترتَّب: أي: ثبت فلم يتحرك، ورتَّبه ترتيبًا؛ أي: أثبته[15].

وفيه إشارة إلى أنّه لا بدّ في الترتيب من اعتبار المرتّب تلك المرتبة فلو وضع شيئًا منها في مرتبته ولم يلاحظها لا يكون ترتيبا[16]، بمعنى: أن الترتيب يتضمن معنى لتنظيم الأشياء التي تحكمها علاقات كلية تجعل منها كلًّا موحدًا، بملاحظة نظام تلك العلاقات حتى إذا خالفها، خالفها عن إرادة ووعي.

لسور القرآن الكريم نظامان من الترتيب، ولكل نظام منهما مقصد سام، وغاية عظمى، كانا وراء اللجوء إليه والأخذ به.

الأول: ترتيب النزول، ويعني ترتيب السور بحسب ما نزل أولًا منها، ثم ما نزل ثانيًا... وهكذا، حتى آخر ما نزل من القرآن الكريم.

الثاني: ترتيب التلاوة، أي: بحسب ترتيب السور في المصحف الذي بأيدي الناس، وهو ترتيب القرآن الذي جمع في خلافة عثمان رضي الله عنه، والذي نسخت منه عدة نسخ ووزعت إلى عدد من الأمصار، وهذا الترتيب هو المقصود في هذا البحث.

ثانياً: عناية المفسرين بالمناسبات:

ذهب الجمهور من المفسرين وعلماء علوم القرآن الكريم إلى القول بإثبات علم المناسبة في القرآن الكريم، يدلك على ذلك كثرة المصنفات في هذا الفن الجليل التي تقدم ذكر بعضها في الدراسات السابقة، كما يشهد لذلك تطبيق المفسرين لعلم المناسبة في تفاسيرهم، فالزمخشري (ت: 538هـ)

15. انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (رَتَبَ)، ج 1، ص 409.
16. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ج 1، ص 411.

ISSN : 2410-1818

- الذي طبَّق في كشَّافه نظرية الجرجاني في النظم - وهو من مقدمة كشافه يؤكد على مكانة ذلك حيث قال: " الحمد لله الذي أنزل القرآن كلامًا مُؤلفًا منظمًا، ونزله بحسب المصالح مُنجمًا، وجعله بالتحميد مفتتحاً، وبالاستعاذة مُختتمًا"[17].

صرَّح الزمخشري (ت: 538هـ) بنظم الكلم القرآني، ولفت في حديثه عن افتتاح القرآن واختتامه إلى كون القرآن وحدة واحدة، وألمح - وهو يُميز بين الإنزال والتنزيل- إلى أن الترتيب توقيفي، وهو ما أكده في تفسير سورة القدر؛ فالقرآن الكريم – بحسب ما يُفهم من كلام الزمخشري في المقدمة، حين أُنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا – كان مؤلفًا منظمًا، ثم تنزَّل مُفرَّقًا على النبي صلى الله عليه وسلم، لكن جمعه في المصاحف كان وَفقا للترتيب الأول

والناظر في الكشاف يجد الزمخشري يؤكد وحدة النص القرآني وتماسُكه، فيصف نظم القرآن الرصين بالبناء المحكم المرصف، وذلك في تفسيره للآية الأولى من سورة هود: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[سورة هود: 1]، "قال:﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف"[18]، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على أن الزمخشري أفضل مَن قرأ فكر عبد القاهر البلاغي.

وقد أنكر العز بن عبد السلام (ت: 660 هـ) علم المناسبة في القرآن الكريم، وقد نقل الزركشي عن عز الدين بن عبد السلام قوله: "المناسبة علم حسن، ويشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد، مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، والقرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض"[19]

ومذهب الجمهور من المتقدمين والمتأخرين هو الصواب، وهو المعول عليه، قال الرازي (ت: 606هـ): "إن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، هو أيضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إن بلاغة الكلام لا تنحصر في أحوال تراكيبه اللفظية، بل تتجاوز إلى الكيفيات التي تؤدي بها تلك التراكيب"[20].

17. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج: 1 ص: 1.
18. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 2 ص: 377.
19. البرهان في علوم القرآن، ج: 1 ص: 37.
20. التحرير والتنوير، ج: 2 ص: 170.

ISSN : 2410-1818

قال الزرقاني (ت: 1367هـ): "إن هذا الروض الرباني اليانع القرآن الكريم يقوم بين جمله وآيه وسوره تناسب بارع، وارتباط محكم، وائتلاف بديع، ينتهي إلى حد الإعجاز خصوصًا إذا لاحظنا نزوله منجمًا على السنين والشهور والأيام"[21].

وقال د دراز: "أجل، إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي - لو تدبرت - بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد، قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامّ والالتحاق. كل ذلك بغير تكلفة، ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة، ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا"[22].

أقوال العلماء في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره

اختلف العلماء في ترتيب سور القرآن الكريم على ما هو عليه في المصاحف المباركة على ثلاثة مذاهب، فمنهم من يقول أن الترتيب توقيفي، ومنهم من يقول إن الترتيب اجتهادي، ومنهم من يقول إن البعض بالتوقيف والبعض الآخر بالاجتهاد.

قال الزركشي (ت:794هـ): "أما ترتيب السور على ما هو عليه الآن فاختلف: هل هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، أو من فعل الصحابة، أو يفصل في ذلك، ثلاثة أقوال"[23].

وقد أشار السيوطي (ت: 911هـ) إلى هذا الخلاف فقال: "...وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضًا، أو هو باجتهاد من الصحابة؟ خلاف""[24].

21. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج1 ص80.
22. النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ص 188.
23. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص 257.
24. الإتقان في علوم القرآن، ج 1، ص 216.

ISSN : 2410-1818

وهذه المذاهب على النحو الآتي:

المذهب الأول: القائلون بأن ترتيب السور توقيفي:

ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم، كترتيب الآيات، وأنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر منه صلى الله عليه وسلم، وممن ذهب إلى هذا الرأي:

أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ) حيث قال: "... وأنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر، ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية، والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات، والحروف، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن قدم سورة أو أخرها، فقد أفسد نظم القرآن"[25]، واختاره كذلك أبو جعفر النحاس (ت: 338هـ) فقال: "والمختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[26]، كما اختاره غيرهم.

المذهب الثاني: القائلون بأن ترتيب السور اجتهادي:

قال ابن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ): "والجمهور من العلماء، إلى أن ترتيب السور إنما وقع باجتهاد الصحابة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوض ذلك إلى أمته بعده"[27]، وهو قول الإمام مالك (ت: 179هـ) حيث يرى بأن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، فيقول: "إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم"[28].

المذهب الثالث: القائلون بأن بعض السور ترتيبها توقيفي وبعضها الآخر اجتهادي:

وهم الذين فصَّلوا في المسألة، وحاولوا أن يقفوا موقفًا وسطًا، ومنهم: ابن عطية الأندلسي (ت: 542هـ)، فقد ذهب إلى أن كثيرًا من السور كان ترتيبها معلومًا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك كسور السبع الطوال المبدوءة بسورة البقرة، ثم الحواميم، والمفصل، وأما ما سوى ذلك من سور فقد اجتهد الصحابة في ترتيبه عند كتابة المصاحف، حيث قال في مقدمة تفسيره: "وظاهر الآثار أن

25. البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 260، وانظر الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 217.
26. نقله عنه الزركشي في البرهان، ج1، ص 258.
27. البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، ص 183.
28. انظر البرهان في تناسب سور القرآن، ص 183، والبرهان في علوم القرآن، ج1، 259.

ISSN : 2410-1818

السبع الطوال، والحواميم، والمفصل، كان مرتبا في زمن النبي عليه السلام، وكان في السور ما لم يرتب؛ فذلك هو الذي رُتِّب وقت الكتب"[29].

وهو المذهب المختار عند السيوطي قال: "والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي، إلا براءة والأنفال"[30].

والذي أجزم به أن القول الراجح: هو المذهب الأول، وهو المقتضي أن ترتيب سور القرآن الكريم - فضلا عن ترتيب آياته - كلها توقيفية، فالقرآن كله فرق من اللوح المحفوظ، وهو بترتيب معين، ثم نزل منجمًا حسب الحوادث، ثم بعد ذلك أعيد في المصاحف على الترتيب الأول، وهذا لا يكون إلا بتوقيف من الله ورسوله، وهذا الترتيب هو ما تعاهده الناس منذ عهد النبوة، ولم يجدوا له مخالفًا، وهو عمل النبي صلى الله عليه وسلم في تكراره لقراءة القرآن بنفس هذا الترتيب طوال حياته، وهو ما تعلمه الصحابة منه، وما نقلوه إلى التابعين من بعدهم إلى يوم الناس هذا.

قال البغوي (ت: 516هـ): "الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه، أو نقصوا منه شيئا، ...فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه، ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن"[31].

ومن جهة أخرى فإن الذي تطمئن إليه النفس، أن مهمة ترتيب السور لا ينبغي أن تناط بالصحابة، لارتباطه بمسألة النظم والإعجاز القرآني، والترابط والتناسب في القرآن، فلا ينبغي لأحد أن يمس نظم القرآن الكريم وترتيبه، يقول الزركشي: "لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم، أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم. وثانيها: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى، وأول البقرة. وثالثها: للوزن في اللفظ، كآخر تبت وأول الإخلاص. ورابعها: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾ و﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ ﴾ "[32].

29. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج 1، ص 50.
30. الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 219.
31. شرح السنة، البغوي، ج 4، ص 521.
32. البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 260.

ISSN : 2410-1818

ومن المعالم التي تجلي مكانة علم المناسبة عند المفسرين، وفي علوم القرآن الكريم، ما عرض له كثير ممن تناوَلوا موضوع المناسبة وقيمتها، ومنهم الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي، والبقاعي، وقد تشابهت أقوالهم في الحديث عن مكانة علم المناسبات، ومن المعالم التي تبرز مكانة علم المناسبة عند المفسرين، وفي علوم القرآن الكريم:

1- فَهْم مراد الله تعالى في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ أو التأويلات المغالي فيها ؛ استند كثير من القدامى والمعاصرين على هذا الجزء من قوله تعالى على لسان العزيز: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة يوسف: 28] في القول بأن ذلك تقرير إلهي بأن كيد النساء عظيم ؛ حيث غفلوا عن أن القائل هو العزيز، وكون القرآن أورد قوله لا يعني بالضرورة موافقته عليه، وكم قد اقتبس القرآن من أقوال الكفار والمنافقين! فضلاً عن أن هذا القول من العزيز دليل على ضَعف شخصيته وعجزه أمام انحراف زوجته.

2- أن المناسبة في مواضع كثيرة تكون مفتاحاً لمعرفة لدُرر القرآن الكريم وحِكَمه:

والدليل على ذلك قول الإمام الرازي: "إن أكثر لطائف القرآن مُودعة في الترتيبات والروابط"[33] ، وقد أكد البقاعي أن المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر"[34].

وقال الشيخ عبد الحميد الفراهي: "ولَمَّا كان أكثر الحِكَم ومعالي الأمور مخبؤة تحت دلالات النظم، فمَن ترك النظر فيه ترَك من معنى القرآن مُعظمَه"[35].

قال الدكتور طارق مصطفى محمد: "ويجد القارئ أن المفسرين والمشتغلين بعلوم القرآن والدراسات القرآنية، كثيرًا ما يتوقفون عند السر في اختتام آية ببعض الأسماء الحسنى واختتام غيرها بغيرها، وكذا التوقف عند ما أسْمَوْه براعة الاستهلال بالنسبة لسورة معينة، أو حُسن اختتامها، والمعنى من تتالي آيتين أو سورتين، زائدًا على القول السابق في تفسير كل منهما على حِدَة، ومثله في ترتيب المواضيع في الآية الواحدة، كالسر في ترتيب أركان الإيمان في الآية الكريمة ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾سورة البقرة:285]،

33. مفاتيح الغيب، الرازي، ج: 10 ص 610.
34. الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، محمود توفيق محمد سعد، ص: 148.
35. دلائل النظام، ص: 33.

ISSN : 2410-1818

أو الحكمة في ترتيب وجوه البر في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [سورة البقرة:177]،والمعاني من كون الفاتحة في أول المصحف، والمعوذتين في آخره"[36].

3- **التناسب عامل فعَّال في إظهار إعجاز القرآن وأحد ركائزه:**

التناسب كما تقدم وجه أصيل من وجوه إعجاز القرآن، ودليل آخر على أنه تنزيل من رب العالمين، وأنه معجز كله؛ يقول البقاعي: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب"[37].

فإن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة ترتيبًا وتماسُكًا[38].

وقال البقاعي: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سبقت له السورة... التي له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربك بين جميع أجزاء القرآن"[39].

4- **المناسبة تكشف عن أهمية الأمور وقدرها:**

ومثال ذلك: معرفة سر اقتران طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعة الله تعالى في كثير من الآيات، ومغزى اقتران الزكاة بالصلاة في عدة مواطن من كتاب الله، وأهمية الإحسان إلى الوالدين؛ إذ جاء تاليًا للأمر بالتوحيد في أكثر من موطن.

وينقل الدكتور محمد عناية الله سبحاني عن عبد الحميد الفراهي قوله: "وقد عظُم بيان الجمعة عندي حين علِمت كيف مهَّد الله قبلها من ذِكر تسبيح ما في السموات والأرض، وصفاته الحسنى،

36. التناسب في سورة البقرة، طارق مصطفى (ص 45) .
37. نظم الدرر، البقاعي، ج:22، ص:446. انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، أ د مصطفى مسلم، ص: 59.
38. انظر: المناسبات بين الآيات والسور فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، د. سامي عطا حسن، ص: 14.
39. نظم الدرر، البقاعي، ج:1 ، ص:18

ISSN : 2410-1818

وفضله على الأمة، وخُسران اليهود على استخفافهم بحُكم الله، فقد رغَّب، ثم رغَّب، ثم رهَّب، ثم ذكَر أحكام الجمعة"[40].

المطلب الثالث: أشهر المصنفات حول ترتيب القرآن الكريم:

يَعد العلماء أبا بكر النيسابوري (ت: 324هـ) أول من أظهر علم المناسبات في بغداد، وكان يزري على علماء بغداد لجهلهم وجوه المناسبة بين الآيات، وكان إذا قرئت عليه الآية أو السورة يقول: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه إلى جنب هذه السورة؟[41].

أما المصنفات في علم المناسبة، فهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مؤلفات أفردته بالتصنيف، ومن أشهرها:

1- البرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر بن الزبير الأندلسي (ت: 807هـ).
2- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي (ت: 911هـ).
3- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله الغُمَاري.

وأعظم من كتب في هذا العلم وأشفى على الغاية القصوى فيه، وغدا مرجعًا لا يستغنى عما فيه هو: برهان الدين البقاعي (ت: 885هـ) في كتابه: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) حيث ذكر المناسبات بين آيات القرآن وسوره كلها.

القسم الثاني: مؤلفات جعلت علم المناسبة نوعًا من علوم القرآن، ومن أشهرها:

1- البرهان في علوم القرآن، فقد جعله الزركشي (ت: 794هـ) النوع الثاني في كتابه هذا.
2- الإتقان في علوم القرآن، وقد جعله السيوطي في كتابه هذا في النوع الثاني والستين.

القسم الثالث: المفسرون الذين عُنُوا بذكر المناسبات في تفاسيرهم، ومن أشهرهم:

3- فخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، في تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب).
4- أبو السعود (ت: 982هـ)، في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم).
5- أبو الثناء الآلوسي (ت: 1270هـ)، في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

40. إمعان النظر في نظام الآي والسور، د.محمد عناية الله أسد سُبحاني، ص: 19.

41. انظر البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 36.

ISSN : 2410-1818

المطلب الرابع: أنواع علم المناسبة في القرآن الكريم.

للمناسبات في القرآن الكريم ثلاثة أنواع[42].

النوع الأول: المناسبات في السورة الواحدة.

النوع الثاني: المناسبات بين السورتين.

النوع الثالث: مناسبات عامة.

ولكل نوع من هذه الأنواع أقسام كثيرة، وسأقتصر على بعض منها، مما يتضح به المقصود، وهي كما يأتي:

النوع الأول: المناسبات في السورة الواحدة، ويتضمن أقسامًا، منها:

أولًا: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها:

مثاله قوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ لسورة البقرة:3]، ثم قال في آخر السورة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [سورة البقرة:285]، فهو في أول السورة يذكر صفات المتقين التي يتميزون بها، وفي آخر السورة يبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه قد امتثلوا تلك الصفات وتحلوا بها.

مثال آخر في سورة المؤمنون افتتح السورة بذكر فلاح المؤمنين ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ﴾ [سورة المؤمنون:1]، واختتمها بنفي فلاح الكافرين ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ ﴾ [سورة المؤمنون:117].

ثانيًا: المناسبة بين الآية والآية التي تليها:

مثاله قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ [سورة الفاتحة:5] فإنه لما ذكر في أول السورة استحقاق الله تعالى لكل المحامد، وكونه ربًا للعالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو مع كل هذا الملك المتصرف في هذا اليوم الذي لا ملك فيه لأحد إلا لله، كان من شأن كل عاقل أن يُقبل على مَنْ هذه صفاته، وتلك عظمته معترفًا بالعبودية له، والذل الكامل لجنابه العظيم، ملتجئًا إليه طالبًا منه العون والتأييد، ثم إنه لما حمد وأثنى ومجّد واعترف بالعبودية ناسب أن يستشرف للطلب من ذلك الرب المستعان، فيقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ [سورة الفاتحة:6].

42. انظر مباحث في التفسير الموضوعي، ص 68 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

ثالثًا: المناسبة بين حكمين في الآية أو الآيات:

وذلك كما في آيات الاستئذان حين أعقبها بالأمر بغض البصر؛ فإن الاستئذان إنما جعل من أجل أن لا يقع بصر المستأذن على عورة، ولو صادف أن وقع فإن على المستأذن أن يغض البصر، ثم إن العلاقة بين الحكمين بيِّنة؛ إذ فيهما ذكر ما تكون به العفة وحفظ العورات في المجتمع المسلم.

رابعًا: المناسبة بين اسم السورة ومضمونها:

مثاله المناسبة بين مضمون سورة الكهف واسمها؛ فإن السورة قد ذكرت أنواع الفتن التي تمر بالمرء؛ إذ ذكرت فيها الفتنة في الدين في قصة أصحاب الكهف، وفتنة الجلساء في قوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ [سورة الكهف:28]، وفتنة المال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر، وفتنة السلطان في قصة ذي القرنين، وفتنة القوة والكثرة في خبر يأجوج ومأجوج، وذكر هذه السورة المخرج من كل واحدة من هذه الفتن؛ فكأنها كهف لمن اعتصم بها من الفتن، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)[43].

النوع الثاني: المناسبات بين السورتين: ويتضمن أقسامًا منها:

أولًا: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة السورة التي قبلها:

مثاله في آخر سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا ﴾ [سورة الإسراء:111]، وفي أول سورة الكهف التي تليها قال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ ﴾ [سورة الكهف:1].

مثال آخر في سورة الطور قال: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩ ﴾ [سورة الطور:49]، وفي أول سورة النجم قال: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾ [سورة النجم:1].

ثانيًا: المناسبة بين مضمون السورة والسورة التي تليها:

43.صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، رقم الحديث (809)، ج 1، ص 555.

ISSN : 2410-1818

مثاله في سورة الضحى ذكرٌ للنعم الحسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سورة الشرح ذكر للنعم المعنوية عليه.

مثال آخر في سورة الفاتحة ذكر للطوائف الثلاث: المنعم عليهم وهم المسلمون، والمغضوب عليهم وهم اليهود، والضالون وهم النصارى، وقد ذكر في سورة البقرة الطائفتين الأوليين بما هو ظاهر، وفي سورة آل عمران ذكر الطائفة الثالثة فيما يزيد على (120) آية من أولها.

النوع الثالث: مناسبات عامة: وهي المناسبات التي يذكرها العلماء مطلقة في القرآن الكريم، وهي تفوق حد الكثرة، أذكر منها نموذجًا للبيان:

افتُتحت سورتان بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهما: سورتا النساء، والحج، وذكر في الأولى بدء الخلق والحياة للإنسان﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [سورة النساء:1]، وفي سورة الحج ذكر لنهاية هذه الحياة وبداية حياة أخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ [سورة الحج:1].

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لبيان أسرار الترتيب بين سور العلق والقدر، والفيل وقريش، والنصر والمسد، والمعوذتين الفلق والناس.

المطلب الأول: دراسة لبيان أسرار الترتيب بين سورتي العلق والقدر،

مناسبة الترتيب بين سورتي العلق والقدر في غاية الظهور، فإن الله جل جلاله لما قال في سورة العلق: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ [سورة العلق:1]، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ [سورة القدر:1]، والضمير عائد على ما دل عليه المعنى، وهو ضمير القرآن..وقال الشعبي وغيره: إنا ابتدأنا إنزال هذا القرآن إليك في ليلة القدر[44]

قال الآلوسي (ت: 1270هـ): "ووجه مناسبتها قبلها أنها كالتعليل للأمر بقراءة القرآن المتقدم فيه، كأنه قيل: اقرأ القرآن، لأن قدره عظيم وشأنه فخيم. وقال الخطابي: المراد بالكتابة في قوله تعالى فيها ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ [سورة القدر:1]، ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ [سورة العلق:1]؛ ولذا وضعت بعد، وارتضاه القاضي أبو بكر بن العربي وقال: هذا بديع جدًّا[45]

44. انظر البحر المحيط، أبو حيان، ج 10 ص 513.

45. روح المعاني، ج 15 ص 411.

ISSN : 2410-1818

ولذا فقد قال ابن عاشور (ت: 1393هـ): "ومن تسديد ترتيب المصحف أن وضعت سورة القدر عقب سورة العلق مع أنها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها، كأنه إماء إلى أن الضمير في أنزلناه يعود إلى القرآن الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق"(46).

وأقول: وهناك مناسبة أخرى خفية؛ هي: أنه تعالى لما ختم العلق بالأمر بالسجود، والاقتراب من الله ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴾ [سورة العلق:19]، وكان المقصود من الاقتراب التعرض للرحمة الفائضة من الله على المصلِّي، والصلاة لا تكون إلا بقرآن، ذكر في أول هذه السورة أن القرآن رحمة في ذاته، ورحمة في الزمان الذي نزل فيه، وهو ليلة القدر التي تتنزل الملائكة والروح فيها بالسلام العميم.

قال البقاعي (ت: 885هـ): "لما ذكر الله سبحانه وتعالى كتابه في هذا الذكر العربي المعجز، ذكر إنزاله مستحضرًا في كل قلب، كان ذلك مغنيًا عن إعادته بصريح اسمه، فكان متى أضمره علمه المخاطب بما في السياق من القرائن الدالة عليه، وبما له في القلب من العظمة، وفي الذهن من الحضور، لا سيما في هذه السورة لافتتاح العلق بالأمر بقراءته، وختمها بالصلاة التي هي أعظم أركانها، فكانت دلالتها عليه دلالة هي في غاية الوضوح، فكان كأنه قال: واقترب بقراءة القرآن في الصلاة، فكان إضماره أدل على العظمة الباهرة من إظهاره، لدلالة الإضمار على أنه ما تم شيء ينزل غيره فهو بحيث لا يحتاج إلى التصريح به"(47).

وقد جمع الزمخشري رحمه الله محاسن هذا الترتيب في تفسيره لأول سورة القدر: "عظم القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أسند إنزاله إليه، وجعله مختصا به دون غيره،

والثاني. أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة، والاستغناء عن التنبيه عليه، والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه"(48).

المطلب الثاني: دراسة لبيان أسرار الترتيب بين سورتي الفيل وقريش.

سورة قريش هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي افتتحت بالتعليل (حرف اللام)، هي شديدة الاتصال بسورة الفيل التي قبلها؛ لتعلق الجار والمجرور في أولها بالفعل في آخر تلك؛ فكأن ما

46. التحرير والتنوير، ج 30 ص 456.
47.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 22 ص 176. 177.
48.الكشاف، ج 4 ص 780.

ISSN : 2410-1818

فعل الله بأصحاب الفيل كان لإيلاف قريش، ولتأمين طريق تجارتهم في رحلتي الشتاء والصيف، وقد كان من أهداف أبرهة السياسية حرمان قريش من تجارتهم هذه. ولشدَّة الاتصال بين هاتين السورتين؛ كانتا في مصحف أُبي سورة واحدة(49).

قال أبو حيان (ت: 745هـ): "ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، ولا سيما أن جعلت اللام متعلقة بنفس ﴿ فَجَعَلَهُمْ﴾ [سورة الفيل:5]، أو بإضمار فعلنا ذلك لإيلاف قريش حتى تطمئن في بلدها، فذكر ذلك للامتنان عليهم، إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في البلاد والأقاليم، ولم تجتمع لهم كلمة"(50).

وقد قال الزمخشري (ت: 538هـ) في الكشاف: وهذا بمنزلة التضمين في الشعر، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقًا لا يصح إلا به، وهما في مصحف أُبي سورة واحدة بلا فصل، وعن عمر: أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب، وقرأ في الأوليين: والتين، والمعنى أنه أهلك أهل الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك، فيتهيبوهم زيادة تهيب، ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم(51)

وتظهر مناسبة أخرى في قوله تعالى آخر هذه السورة: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤ ﴾ [سورة قريش:3-4] إشارة إلى أول سورة الفيل، كأنه قال: فليعبدوا رب هذا البيت الذي قصده أصحاب الفيل، ثم إن رب البيت دفعهم عن مقصودهم لأجل إيلافكم ونفعكم، لأن الأمر بالعبادة إنما يحسن مرتبًا على إيصال المنفعة، فهذا يدل على تعلق أول هذه السورة بالسورة المتقدمة(52).

المطلب الثالث: دراسة لبيان أسرار الترتيب بين سورتي النصر والمسد.

بين هاتين السورتين تظهر أقوى أسرار الترتيب بين سور القرآن الكريم؛ يقول الرازي (ت: 606هـ): "تأمل في هذه المجانسات الحاصلة بين هذه السور، مع أن هذه السورة – أي: النصر - من أواخر ما

49. ذكره السخاوي عن جعفر الصادق، وأبي نهيك. انظر جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، ص 93.
50. البحر المحيط، ج 10، ص547..
51. انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج 4، ص 801.
52. انظر مفاتيح الغيب، الرازي، ج 32، ص 295.

ISSN : 2410-1818

نزل بالمدينة، وتلك السورة – أي: المسد - من أوائل ما نزل بمكة؛ ليعلم أن ترتيب هذه السور من الله وبأمره"(53)

ومن أوجه مناسبة الترتيب والتناسق الحاصلة بينهما؛ أنه لما قدم سبحانه وتعالى في سورة النصر القطع بتحقق النصر لهذا الدين وأهله بعد ما كانوا فيه من الذلة، والأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذي مر عليهم مع القلة والذلة،

وختمها بأنه التواب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾ [سورة النصر:3]، وكان أبو لهب - من شدة العناد لهذا الدين والأذى لإمامة النبي صلى الله عليه وسلم سيد العالمين، مع قربه منه - بالمحل الذي لا يجهل، بل شاع واشتهر، وأحرق الأكباد وصهر، كان بحيث يسأل عن حاله إذ ذاك هل يثبت عليه أو يذل، فشفى غلَّ هذا السؤال، وأزيل بما يكون له من النكال، وليكون ذلك بعد وقوع الفتح ونزول الظفر والنصر(54)، قال أبو جعفر بن الزبير: "هذه السورة وإن نزلت على سبب خاص، وفي قصة معلومة، فهي مع ما تقدمها واتصل بها في قوة أن لو قيل: قد انقضى عمرك يا محمد، وانتهى مما قلدته من عظيم أمانة الرسالة أمرك، وتأدية ما تحملته وحان أجلك، وأمارة ذلك دخول الناس في دين الله أفواجا، واستجابتهم بعد تلكؤهم، والويل لمن عاندك وعدل عن متابعتك، وإن كان أقرب الناس إليك"(55).

ومما قيل في وجه اتصال سورة المسد بسورة النصر: أنه لما ذكر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الإسلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ ﴾ [سورة النصر:2]، عقَّبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه، وقيل: هو من اتصال الوعيد بالوعد وفي كلٍّ مسرة له عليه الصلاة والسلام.

وقد أبدع الإمام الرازي في بيان ذلك حيث قال: إنه تعالى لما قال في آخر السورة المتقدمة: چ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[سورة الكافرون:6] فكأنه صلّى الله عليه وسلم قال: إلهي فما جزائي؟ فقال الله تعالى: لك النصر والفتح، فقال: وما جزاء عمِّي الذي دعاني إلى عبادة الأصنام؟ فقال الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [سورة المسد:1].

53. مفاتيح الغيب، ج 32، ص 335.
54. انظر نظم الدرر، ج 22، ص 327.
55. البرهان في تناسب سور القرآن، ص 383.

ISSN : 2410-1818

وقدم الوعد على الوعيد ليكون النصر متصلاً بقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [سورة الكافرون:6]، والوعيد راجعًا إلى قوله تعالى: ﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [سورة الكافرون:6]، على حد قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ [سورة آل عمران:106] **(56)**.

ثم قال وجه آخر في بيان ترتيب السورة: "اعلم أنه تعالى قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [سورة الذاريات:56]، ثم بين في سورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ [سورة الكافرون:1] أن محمدا عليه الصلاة والسلام أطاع ربه، وصرح بنفي عبادة الشركاء والأضداد، وأن الكافر عصى ربه واشتغل بعبادة الأضداد والأنداد، فكأنه قيل: إلهنا ما ثواب المطيع، وما عقاب العاصي؟ فقال: ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستيلاء في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى، كما دل عليه سورة: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾ [سورة النصر:1]، وأما عقاب العاصي فهو الخسار في الدنيا والعقاب العظيم في العقبى، كما دلت عليه سورة: (﴿ تَبَّتْ ﴾ [سورة المسد:1]" **(57)**

المطلب الرابع: دراسة لبيان أسرار الترتيب بين المعوذتين الفلق والناس.

هاتان السورتان نزلتا معًا كما في الدلائل للبيهقي**(58)**؛ فلذلك قُرنتا، مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين، ومن الافتتاح ب ﴿ قُلْ أَعُوذُ﴾ ومناسبة سورة الفلق لما قبلها وهي الإخلاص وما بعدها وهي الناس في غاية الطهور، يقول الآلوسي: "ولما شرح أمر الإلهية في السورة قبلها جيء بها بعدها شرحًا لما يستعاذ منه بالله تعالى من الشر الذي في مراتب العالم ومراتب مخلوقاته، وهي والسورة التي بعدها نزلتا معا كما في الدلائل للبيهقي، فلذلك قرنتا مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين ومن الافتتاح ﴿ قُلْ أَعُوذُ﴾ "**(59)**.

وفي وجه ارتباطها بما بعدها وهي سورة الناس يقول البقاعي: "لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية وغيرها العامة للإنسان وغيره، وذلك هو جملة الشر الموجود في جميع الأكوان والأزمان، ثم وقع فيها التخصيص بشرور بأعيانها من الفاسق، والساحر، والحاسد، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب الخارجة التي ترجع إلى ظلم الغير، والمعايب الداخلة التي ترجع إلى ظلم النفس ولكنها في المصائب أظهر، وختمت بالحسد فعلم أنه أضر المصائب، وكان أصل ما

56. انظر مفاتيح الغيب، ج32، ص 335.
57. مفاتيح الغيب، ج 32، ص 348
58. انظر دلائل النبوة، البيهقي، ج 7، ص 94.
59. روح المعاني، ج 15، ص 517.

ISSN : 2410-1818

بين الجن والإنس من العداوة الحسد، جاءت سورة الناس متضمنة للاستعاذة من شر خاص، وهو الوسواس، وهو أخص من مطلق الحاسد، ويرجع إلى المعايب الداخلة اللاحقة للنفوس البشرية التي أصلها كلها الوسوسة، وهي سبب الذنوب والمعاصي كلها، وهي من الجن أمكن وأضر، والشر كله يرجع إلى المصائب والمعايب"(60)

وقال أبو جعفر بن الزبير (ت: 708هـ): "وجه تأخيرها عن شقيقتها عموم الأولى وخصوص الثانية، ألا ترى عموم قوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ [سورة الفلق:2]، وإبهام ﴿ مَا ﴾ ، وتنكير ﴿ غَاسِقٍ ﴾ و﴿ حَاسِدٍ ﴾ ، والعهد فيما استعيذ من شره في سورة الناس، وتعريفه ونعته، فبدأ بالعموم، ثم أتبع بالخصوص ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه وأوفى بالمقصود"(61)

ولهاتين السورتين خصوصية غير المناسبات المذكورة في ارتباط بعض السور ببعضها، وهذه الخصوصية هي ختم القرآن بهما، يقول ابن باديس (ت: 1359هـ): "يستطيع دارس القرآن ومتدبره ومتقلبه، بالذهن المشرق والقريحة الصافية، أن يستخرج من الحكم في هذا الختم بهما أنواعًا؛ ولكن أجلاها وأوضحها:

أ- أنهما ختم على كنوز القرآن في نفس المؤمن، وتحصين لهذه النعم المنشأة له من القرآن عليه أن يكدرها عليه كيد كائد، أو حسد حاسد، فإن من أوتي الشيء الكريم، ورزق النعمة الهنية، هو الذي تمتد إليه أيدي الأشرار وألسنتهم بالسوء، وتقذفه عيونهم بالشرر، وتتطلع إليه نفوسهم بالحسد والبغضاء، ويشتد عليه تكالبهم، سعياً في سلبه منه، أو تكديره عليه. وبقدر النعمة يكون الحسد، وعلى مقدار نفاسة ما تملك، تكون هدفاً لمكائد الكائدين، وتأتيك البلايا من حيث تدري ولا تدري.

ومن أوتي القرآن فقد طوي الوحي بين جنبيه، وأتي الخير الكثير، فهو لذلك مرمى أعين الحاسدين، ومهوى أفئدة الكائدين؛ فكان حقيقاً، وقد ختم القرآن حفظاً أو مدارسة أو تلاوة، أن يلتجيء إلى الله طالباً منه الحفظ والتحصين من شر كل كيد وحسد يصيبه على هذا الخير العظيم، الذي كمل له هذه النعمة الشاملة التي تمت عليه. هذه حكمة.

60. انظم الدرر، ج 22، ص 424.

61. البرهان في تناسب سور القرآن، ص 385.

ISSN : 2410-1818

ب- والأخرى: هي أن من أوتي القرآن وتفقه فيه، فقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وأحاط بالعلم من أطرافه، وملك كنزه الذي لا ينفد.

وأن من آفات العلم اغترار صاحبه به، وقد يتمادى به الغرور حتى يسول له أن ما أوتيه من العلم كافٍ في وقايته من الأضرار، ونجاته من الأشرار، فكان من رحمة الله بصاحب القرآن، ولطف تأديبه له، وحسن عنايته به، أن ختم بهاتين السورتين كتابه؛ لتكونا آخر ما يستوقف القارئ المتفقه، وينبهه إلى أن في العلم والحكمة مسألة لم يتعلمها إلى الآن، وهي: أنه مهما امتد في العلم باعه، واشتد بالحكمة اطلاعه: فإنه لا يستغني عن الله، ولا بد له من الالتجاء إليه، والاعتصام به، يستدفع به شر الأشرار، وحسد الحاسد. وكفى بهذه التربية قامعاً للغرور، وإنه لشر الشرور"[62].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد هذا الطوفة والتدبر في أسرار الترتيب بين سور القرآن الكريم ابتغاء الوقوف على المزيد من أسرار جمال النظم القرآني الجليل الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثر الترداد، يجمل بي أن أسجل أهم نتائج البحث، وهي على النحو الآتي:

1- بيّن البحث أن ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره توقيفي، وأن هذا الترتيب التوقيفي هو مستودع أسرار الترابط والتآخي والتآزر فيه، وهو من أجلى مظاهر إحكام القرآن الكريم.

2- أكد البحث على أن علم المناسبة مستمد من الوجوه العقلية، وأن له الأثر الجلي في علم التفسير.

3- أظهر البحث أصالة علم المناسبة، وأن من صميم علوم القرآن الكريم، وليس من مِلَح العلم كما يقال[63].

4- أبرز البحث العديد من أسرار الترتيب والتناسب في سور (العلق والقدر، والفيل وقريش، والنصر والمسد، والفلق والناس)، وأن التناسب بين مطلع السورة وختامها في منتهى الوثاقة.

ومن توصيات البحث:

62. في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص 369.

63. انظر: (قواعد التفسير جمعا ودراسة، د خالد بن عثمان السبت، ج: 1 ص 24.

ISSN : 2410-1818

1- توظيف دراسة علم البلاغة والتدبر في علم المناسبات وذلك في الرسائل العلمية بشكل تطبيقي سواء في كتب المفسرين أو في سور معينة من القرآن الكريم.

والله أسأل أن يمن علينا بالعفو والعافية في الدنيا والآخرة، إن ربي رحيم ودود على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم وبارك على إمام الأنبياء والمرسلين، وقدوة الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا مزيدا إلى يوم الدين، وآخر دعواي ﴿ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: محمد أبوالفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ، 1974م.

2- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745 هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة 1420هـ.

3- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ) تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، عام النشر: 1410هـ ، 1990م.

4- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ ، 1957م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

5- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

6- التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: 1984هـ.

ISSN : 2410-1818

7- تفسير ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1416هـ ، 1995م.

8- جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: 643هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة، د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى 1418هـ ، 1997م.

9- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ .

10- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى، 1408هـ ، 1988م.

11- دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي، المطبعة الحميدية، 1388هـ ، الطبعة الأولى.

12- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

13- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ ، 1983م.

14- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبعة.

15- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة: الأولى، 1996م.

ISSN : 2410-1818

16- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407هـ.

17- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ

18- مباحث في التفسير الموضوعي، أ د مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة: الرابعة 1426هـ، 2005م.

19- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

20- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ابن خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420هـ.

21- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، الأصفهاني، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ.

22- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن زكَرِيّا ابن فارس، تحقيق وضبط عبد السَّلام محمد هَارُون، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، 1399هـ، 1979م.

23- المناسبات بين الآيات والسور فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، د. سامي عطا حسن، جامعة آل البيت. بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

24- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة، بدون تاريخ.

25- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت: 1377هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ.د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ، 2005م.

ISSN : 2410-1818

26- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقـــاعي (ت: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ.